ليس في الافق سوى دخنة نحم
من محيط لخليـــج
ليس في الافق
سوى ضفة نهر ، وبيوت لا تبين
صدئت في خيم المنفى المفاتيح
بايدي العائدين ،
ليس في الافق
سوى صمت السؤال
من حماة القدس
والعار المغني خلف آثار النعال
وضمير الله صحراء
وصمت يترامى عبر صحراء الرمال

وتبرز مأساة الام الحزينـــة في المقطع الاخير من القصيدة . وقد كانت مأساتها اكثر ايلاما من مأساة العذراء مريم : فان كانت مريم شيعت مسيحـــا واحدا فان الام العربية الحزينة شيعت الـــف مسيـــح ومسيح تشك شكا حقيقيا في امكـــان انبعاثهم . ولم يعد المسيـــح في القصيدة رمزا للفداء والخلاص فكان على كل انسان ان يعمـــد ذاته بمـــوت يبـــدو انـــه لا ينطوي على بذرة الانبعاث ، اذ ليس هناك من يفتديه . وتفقـــد الام الحزينة وعيها وتبحر في سديمية اللاوعي فتنحل الروابط المنطقية وتعيش تجربـــة الجنـــون من حيث هو انقطـــاع وفوضـــى وعدم يقين ، وتدمن العـــذاب وتنتشي بالحزن وتقيم اعياد الجنـــون وكأنها اغاي ام بنثيوس : القى عليها ديونيسوس لعنة الجنون فقتلت ابنها على غير وعي منها وانتبهت فجـــأة وتكثف وعيها بعظـــم الفاجعة وبعجز الانسان امام القوى الخارقة . ولا تستطيع الام ان تطال رحمة الموت ونعمته ، لان حالة الموت في الحياة التي تعاني اقســـى مـــن الموت وكأنهـــا بحار كولريج العتيق الـــذي حلت عليه لعنة الموت في الحياة فعاش على ظهـــر سفينة تخلت عنها العناية الالهية في اعماق محيط تجمدت فيه الامـــواج والريـــاح ، ووقف وحيدا في مواجهة بحارة اموات ـــ اراحهم الموت من هـــول المأســـاة ـــ ترمقـــه عيونهم الميتة بلعنة ابدية . فكانت السفينة والبحار صورتين لحقيقة واحـــدة . وليست الام في قصيدة حاوي سوى تلك السفينة المتجمدة وهي البحـــار العتيق : يوازي ما تجمد في داخلها صور الجمود المحيطة بها ـــ انها صخر يرتمـــي علـــى الصخـــر ، يقـــول :

ما لام شيعت
الف مسيح ومسيح
واراقت دمها المجنون في اعياد حزن
وانتشت بالحزن واشتلت جنونه
ما لها الام الحزينة
ترتمي صخرا على الصخر
سوى شعر يلوح
خصل تنفشها الريح وتلقيها
على طفل ذبيح